انت رحيم ارحم بكم من اشفاقه مع عبادي ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا فضل لديه ضائع ان عذبوا فبعدله او نعموا فبفضله
وهو الكريم الواسع فان قيل فقد روى حبيب بن الشهيد عن الحسن قال الحمد لله ثمن كل نعمة ولا اله الا الله ثمن
الجنة وروى هذا المعنى مرفوعا من حديث انس وابي ذر وغيرهما وان كانت اسانيدها ضعيفة ويشهد لذلك قول الله
عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله الاية فجعل الجنة ثمنا للنفوس و
الاموال فالجواب ان الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته وكرمه ومنه وطوله خاطب عباده بما يدعوهم اليه من طاعته على
حسب ما يتعارفونه بينهم في تجاراتهم المعهودة المألوفة لهم وجعل انفسهم مشترى منهم ومستقرضا وجعلهم بايعين له
ومقرضين ليكون ذلك ادعى الى استجابتهم لدعوته ومبادرتهم الى طاعته والا ففي الحقيقة الكل له وملكه ومن فضله
واحسانه ورحمته فالنفوس والاموال كلها ملك له كما امرنا عند المصايب ان نقول انا لله وانا اليه راجعون ومع هذا
فقد مدح من بذل له نفسه وماله وجعله بايعا ومقرضا كالذي يملك ملكه بيعه ويقرضه لغيره ممن لا يملك عليه كذلك
الاعمال كلها من فضله ورحمته وقد مدح عليها ونسبها الى عاملها وجعلها شكرا منهم لنعمه ومكافاة لها وقد روى
ابن ماجه من حديث انس مرفوعا ما انعم الله على عبد من نعمة فقال الحمد لله الا كان ما اعطى افضل مما اخذ وكذا قال
عمر بن عبد العزيز والحسن وغيرهما من السلف واستشكل هذا على كثير من العلماء قديما وحديثا وعلى ما قررناه معناه
ظاهر فان المراد بالنعم النعم الدنيوية والحمد من النعم الدينية والنعم الدينية افضل من النعم الدنيوية ولكن لما كان
الحمد منسوبا الى العبد لفعله وقيامه به جعله الله معطيا لاعظم النعمتين مكافيا بها للنعمة الاخرى ولهذا جاء في
الاثر الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده فبهذا الاعتبار يكون الحمد ثمنا للجنة وعند تحقيق النظر فالجنة والعمل
كلاهما من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين ولهذا يقول اهل الجنة عند دخولها الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله الاية فلما اعترفوا لله بنعمته عليهم بالجنة وما سببها من الهداية وحمدوا الله على ذلك كله جوزوا بان
نودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فاضيف العمل اليهم وشكروا عليه ونظير هذا ما قال بعض
السلف ان العبد اذا اذنب ثم قال يا رب انت قضيت علي قال له ربه انت اذنبت وانت عصيت فاذا قال العبد يا رب
انا اخطات وانا اسات وانا اذنبت قال الله انا قضيت عليك وقدرت وانا اغفر لك ومما يتحقق به معنى
قول النبي صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد الجنة بعمله او لن ينجي احدا عمله ان مضاعفة الحسنات انما هي من فضل الله عز وجل
واحسانه حيث جازى بالحسنة عشر امثالها ضاعفها الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة فهذا كله فضل منه ولو جازى
بالحسنة مثلها كالسيئة لم تزل الحسنات على احباط السيئات فكان يهلك صاحب العمل لا محالة كما قال ابن مسعود
في صحف الحسنات ان كان وليا لله فضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله الجنة وان كان شقيا قال الملك رب
فنيت حسناته وبقي طالبون كثير قال خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار

فتبين

فتبين بهذا ان من اراد الله سعادته اضعف له حسناته حتى يستوفي منها الغرماء ويبقى له منها مثقال ذرة فتضاعف
له ويدخل بها الجنة وذلك من فضل الله ورحمته ومن اراد الله شقاوته ولم يرحمه لم تضاعف حسناته كما تضاعف
لمن اراد سعادته بل يضاعفها عشرا فتقسم على الغرماء فيستوفونها كلها وتبقى لهم مظالم فيطرح عليه من سيئاتهم
فيدخل بها النار فهذا عدله وذلك فضله ومن هنا قال يحيى بن معاذ اذا بسط فضله لم يبق لاحد سيئة واذا
جاء عدله لم يبق لاحد حسنة وايضا فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش الحساب هلك وفي رواية
عذب وفي رواية يحضر وخرج ابو نعيم من حديث علي مرفوعا اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل قل لاهل طاعتي من
امتك لا يتكلوا على اعمالهم فاني لا اناقش عبدا الحساب يوم القيامة اشاء ان اعذبه الا عذبته وقل لاهل معصيتي من
امتك لا يلقوا بايديهم فاني اغفر الذنب العظيم ولا ابالي وقال عبد العزيز بن ابي رواد اوحى الله الى داود عليه
السلام يا داود بشر المذنبين وانذر المصدقين فكان عجب فقال يا رب ابشر المذنبين وانذر المصدقين قال نعم بشر
المذنبين انه لا يتعاظمني ذنب اغفره وانذر المصدقين اني لا اضع عدلي وحسابي على عبد الا هلك قال ابن عيينة
المناقشة سوء الاستقصاء حتى لا يترك منه شيء وقال ابن زيد الحساب الشديد الذي ليس فيه شيء من العفو والحساب
اليسير الذي تغفر ذنوبه وتتقبل حسناته فتبين بهذا ان لا نجاة للعبد بدون العفو والرحمة والتجاوز وانه متى
اقيم العدل المحض على عبد هلك ومما يشير الى ذلك ايضا قوله تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم فهذا الله تعالى الناس
يسالون عن النعيم في الدنيا وهل قاموا بشكره او لا فمن طولب بالشكر على كل نعمة من عافية وصحة جسم وسلامة
حواس وطيب عيش واستقصي في ذلك عليه لم تف اعماله كلها بشكر بعض هذه النعم وتبقى ساير النعم غير مقابلة بشكر
فيستحق صاحبها العذاب بذلك وخرج الخرايطي في كتاب الشكر من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا يؤتى بعبد
يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول للملائكة انظروا في عمل عبدي ونعمتي عليه فينظرون فيقولون
ولا بقدر نعمة واحدة من نعمك عليه فيقول انظروا في عمله سيئه وصالحه فينظرون فيجدونه كفافا فيقول عبدي
قد قبلت حسناتك وغفرت لك سيئاتك وقد وهبت لك نعمي فيما بين ذلك وخرج الطبراني من حديث ابن عمر
مرفوعا ان الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لاثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد ان تستنفد
ذلك الا ان يتطاول الله برحمته وخرج ابن ابي الدنيا من حديث انس مرفوعا يؤتى بالنعم يوم القيامة ويؤتى
بالحسنات والسيئات فيقول الله لنعمة من نعمه خذي حقك من حسناته فما تترك له حسنة الا ذهبت بها و
باسناده عن وهب بن منبه قال عبد الله عبد خمسين عاما فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك قال يا رب وما تغفر لي
ولم اذنب فاذن الله لعرق في عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصل ثم سكن وقام فاتاه ملك فشكى اليه ما لقي